# هذا أنا
# صباح الخير يا أستاذ!

حمزة سرور

**تلك الكلمات الأولى التي سمعتها في اللحظات الأولى منذ دخولي بوابة المدرسة، هذا الترحيب الذي استقبلني به الطلاب عندما شاهدوا معلماً جديداً يتجه نحو ساحة المدرسة، باحثاً عن غرفة المدير مع تلقي بعض الأسئلة من الطلاب عن أي مادة سوف أدرس؟ وأي صف؟ وأسئلة أخرى لم أسمعها، بسبب انشغالي في التفكير للإجابة عن هذه الأسئلة.**

فعندما دخلت غرفة المدير، وعرّفت به عن نفسي، بأني معلم جديد بالنسبة له ولنفسي أيضاً، رحب بي المدير وبعض أفراد الهيئة التدريسية الذين كانوا في غرفته على أكمل وجه.

وعند انتقالي إلى غرفة المعلمين التي بات لي مكان فيها بينهم، بعد أن كنت طالباً أتلقى منهم العلم والمعرفة، أصبحت الآن واحداً من هؤلاء المعلمين الذين يسعون إلى رفع مستوى التعليم من أجل تربية أجيال واعية.

عندها بدأت التفت من حولي لأعاين المكان عن كثب «كتب، ودفاتر تحضير، وماكينات تصوير، وأكواب من الشاي والقهوة هنا وهناك، وبقايا دخان . . . طبعاً والأهم طابور المعلمين على جدول الحصص اليومي.

خرجت إلى الساحة، كي أنظر جموع الطلاب قبل قرع الجرس، فالمنظر لم يغب عن ذاكرتي طويلاً، فقد كنت يوماً واحداً من هؤلاء الطلاب المواظبين على دروسهم، التزم بقواعد النظام المدرسي وقوانينه، نصطف في الطابور يومياً، ونعمل التمارين الرياضية، وننشد السلام الوطني، واستعد للحصة بكل نشاط.

كل ذلك رافقني 12 عاماً، حتى تخرجت من الثانوية العامة، وعندما نجحت . . . التحقت بالجامعة وتخصصت في الكيمياء العامة، فما هي إلا أربع سنوات قضيتها في الجامعة حتى تخرجت منها باحثاً عن وظيفة.

إذ لم يكن متاحاً لي العمل في مجالات أخرى، وهذه المرة الأولى، التي أعيش فيها هذه اللحظات . . البحث عن العمل؛ ذلك العمل الذي بحثت عنه طويلاً في كل الأماكن بعيداً عن أوراق الواسطة والمحسوبية والتوصيات العامة والخاصة، لا أحد يقف بجانبي سوى شهادتي الجامعية.

تقدمت بطلب إلى مديرية التربية والتعليم، حتى لا ألوم نفسي في التقصير للبحث عن عمل، وللمرة الأولى يجب فيه على المتقدم بطلب وظيفة إجراء امتحان مستوى، والحمد لله اجتزته مع المقابلات اللازمة.

ومع استمراري في البحث عن وظيفة وبداية العام الدراسي الجديد 2004/ 2005 بدأت تلك المرحلة عندما تم إخباري من قبل موظف التربية، بأن هناك وظيفة شاغرة في إحدى القرى الصغيرة، ويمكنك

العمل بها.

عندما بدأت الحصة الأولى ناداني المدير قائلاً:

» أستاذ حمزة!
» نعم
» اذهب إلى الصف التاسع . . الآن!
» حاضر ولا يهمك.

كانت هذه أول مرة أدخل فيها غرفة الصف بصفتي معلماً.

طرقت باب الصف طرقات آمرة الطلبة بالجلوس والانتباه، وخيم الصمت والهدوء على غرفة الصف المليء بالطلاب وأمتعتهم، وهم ينتظرون ماذا سأقول لهم!! عندها تملكني شعور غريب، لم أستطع وصفه حتى الآن . . . ودارت الكثير من الأسئلة في ذهني . . . ماذا يكون انطباع الطلاب عني ؟ هل سأكون قادراً على حمل هذه المسؤولية؟

بداية، عرفتهم عن نفسي، بأني أستاذ العلوم في مدرستهم، وأخذ الحديث يدور بيننا عن المدرسة وطريقة تعامل المعلمين مع الطلبة، والإدارة وبناء المدرسة الذي يشبه بناء المدارس، حيث أن المدرسة لا أبواب خارجية لها، لا أسوار تحيط بها، ساحتها ترابية، لا مكان للأشجار والظل فيها. وفي نهاية الحصة، عرفت أن المدرسة أيضاً مدرسة جديدة، ليس أنا فقط، بل الطلاب والبناء غير المكتمل.

بعد أسابيع، بدأت اعتاد على الجو المدرسي والوقوف أمام الطلاب، والتعامل معهم، وإعطاء الدروس والتحضير للحصة على أكمل وجه، وبكل الوسائل والأساليب المتبعة لإعطاء المادة التعليمية حقها ومن أجل واجبي أيضاً وقبل كل شيء.

ومرت الأيام سريعاً. واجهت خلالها الكثير من المشاكل والمصاعب بداية مع الطلاب الذين لا يحبون المدرسة، ويعتبرونها سجناً حصيناً لرغباتهم، وينظرون إلى المادة الدراسية على أنها كومة من الواجبات والمسائل، والمعلم العدو اللدود، الذين يحاولون استفزازه والتعرض له بالتشويش والتأخير والتهرب والتمارض في كثير من الأحيان، بهدف مضيعة الوقت والحصة التعليمية.

لن أنسى يوما ما تعرضت له خلال مسيرتي التعليمية من مسبات وشتائم وتهديدات وتعليقات على الجدران وفي الساحات التي وصلت ذروتها في محاولة الاعتداء علي من قبل مجموعة مجهولة من خارج المدرسة، لكن كل هذا لم يثنيني عن مواصلة الطريق وإكمال المسيرة التعليمية، بكل قوة ودافعية، فهذه أكبر مشاكل العملية التعليمية بالنسبة لي. ولحلها، سخرت إمكانياتي وطاقاتي من أجل السيطرة على هذا الجنون، بكل ما أوتيت من إرادة وقوة، فقد أشغلت تلك الفئة من الطلاب في نشاطات المدرسة التي تلبي رغباتهم، وتستهوي ميولهم، وتعبر عن إرادتهم وأنفسهم؛ محاولاً كسب ثقتهم ومحبتهم واحترامهم.

تابعت عملي مدرساً لمادة العلوم، فلم أجد يوماً صعوبة في تدريسها أو التوصل إلى أهدافها، فهي مادة ممتعة وشيقة غنية بالمعلومات والتطبيقات، يستفيد من خلالها الطالب، وأدركت كل خطوات التعليم تامة، وفهمت الطلاب ورغباتهم والفروق الفردية بينهم، فالطالب يحتاج إلى من يتفهمه فعلاً، ويستوعبه ويراعي ظروفه ومشاعره، فأصبحت أكثر قرباً منه، فلا يوجد طالب مهمل من عبث أو فراغ، وبخاصة أنهم يمرون في أكثر مراحل عمرهم حساسية، فهم بحاجة إلى الاهتمام والتشجيع والاحترام والتعزيز، حتى تصبح المادة أكثر اهتماماً وقابلية وجاذبية لهم.

وحتى لا أكون ذلك المعلم التقليدي الذي يستخدم الأسلوب نفسه بشكل يومي من تكرار الشرح والقراءة، وسرد المعلومات، والحل على السبورة، تنوعت في الطرق والأساليب التي تجذب الطالب وتشوقه، ولا تجعله يمل وينظر إلى ساعته باسمرار وتأفف، فأحياناً أخرج الطلاب وأعطي الدرس خارج غرفة الصف، في المختبر مثلاً أو المكتبة، فهذا يشعر الطالب بالنشاط، ويجعله يخرج عن المألوف والروتين، كما استخدم الرسومات التوضيحية والجداول التفصيلية واللوحات العلمية والبرامج الحاسوبية كبرنامج «الفلاش» و«سلايدات» التعليم التي تثير الاهتمام وتجعل الدقائق تمر دون ملل أو تعب أو كسل. ولا أنسى التجارب المخبرية التي يشارك الطلاب في عملها، ويستمتعون بأدائها ويفرحون بنتائجها . . . هذا كله يخرجني عن التقليد الأعمى والممل.

كي أثبت لنفسي أكثر أني أتقنت العملية التعليمية في سنتين، أردت إكمال رغبتي في تدريس مادة الكيمياء، التي هي مجال تخصصي، وتقدمت بطلب إلى مديرية التربية والتعليم حتى أنتقل إلى مدرسة ثانوية أخرى يدرس فيها الفرع العلمي، فتحققت رغبتي في ذلك وانتقلت إلى تلك المدرسة، حاملاً معي تجربتي الأولى، حيث ساعدتني في وضع الخطوات الأولى من التميز الذي يوصل في نهايته إلى الإبداع.

فالخبرة السابقة من أساليب وتراكم للمعلومات والمعارف وفن التعامل مع الطلاب والزملاء، هذا كله ساعدني في التأقلم سريعاً مع الطاقم التعليمي الجديد . . . من مدير، ومعلمين، ومعلمات، وطلاب، والمادة التعليمية، التي أحضرها وأحللها وألخصها، وأتعامل مع كل جزء منها دون إهمال أو تقصير في سبيل جعلها مادة سهلة، وسلسة، يستوعبها ويتقبلها الطالب، بكل اهتمام وحرص وتفاعل.

فهذا أنا الآن معلم الكيمياء في مدرسة دير عمار الثانوية المختلطة، وأحد أفراد الهيئة التدريسية هناك، حيث أصبح لي مكاني الخاص بينهم جميعاً، وأفتخر عندما يتخرج من بين يدي ذاك الجيل الواعد، وازداد عزاً عند نجاحهم في مادتي بتفوق، فهذا دليل على فهمهم وإتقانهم لها، وكل ذلك يزيدني ثقة يوماً بعد يوم، فكم هو جميل أن تحصد ذاك النجاح والتميز. هذه قصتي، وهذا أنا.

مدرسة دير عمار الثانوية المختلطة–رام الله